مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٨- البحث ٤

الإصلاح الفكري وظاهرة التكفير في المؤسسات التربوية والتعليمية

الأستاذ بن نعمية عبد الغفار

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

جامعة وهران، الجزائر

تعنى المؤسسات التعليمية والتربوية بتربية النشء وتطوير قدراته الإدراكية منذ السنوات الأولى للتعليم، إلى غاية الوصول إلى مرحلة العطاء المعول عليها أساسا، ولأجل ضمان المسار العادي لهذه العملية عملت مختلف الدول على تطوير التعليم، وتكييف مناهجه وفق ما ينطق به الواقع المعيش، فلجأت إلى قضية الإصلاح في المناهج التعليمية؛ لمحاولة تصفيفها وترتيبها وإحداث التغيير المناسب في مضامينها ومقرراتها، ربما اختلفت الكثير من الدول عربية كانت أم أجنبية في طريقة العمل، فلكل دولة مقاييسها، وأدى التبادل الثقافي من جهة أخرى دوره في الإفادة بينها في مجال الخبرات والتطبيقات، خاصة الدول الجديدة العهد بقضية الإصلاح.

إذا كانت قضية الإصلاح منحة خالصة باعتبارها قضية دولة، وهي تتعلق بالتخطيط الشامل للدولة، فهي محنة حقيقية تعيشها المؤسسات التعليمية والتربوية، في ظل ما يذكر من هاجس الإخفاقات في هذا المجال، وإن كتب لها أن تحقق إنجازا يُبارك حتمًا، فأمامها مسؤولية تفوق هذا الإنجاز حينما يتعلق الأمر بالإصلاح الفكري. إذ مستقبل الأجيال مرهون بمدى قدرة هذه المؤسسات على استيعاب الأنماط المختلفة للتفكير، ربما يهون الأمر في بداية المراحل التعليمية، لكن الفكر قابل للتطور والتقدم، وهي المرحلة التي يختبر فيها الفكر فإما إلى اعتدال أو إلى تطرف وزوال.

من هذه الزاوية يمكن أن تتمحور إشكالية الموضوع حول فاعلية المؤسسات التعليمية والتربوية في محاربة ظاهرة التكفير في ظل الإصلاح الفكري.

ومنه فإن مفهوم الإصلاح لا ينبغي أن يتعلق بالمناهج فحسب، بل يوجه خطابه للعقول حتى توزن بميزان يضمن الحقوق، ويبين الواجبات، إذ العلاقة

بين أفراد المجتمع واحدة، حتى إذا تخلت المؤسسات التعليمية عن واجبها من هذه الناحية، انقلب الفرد عن مجتمعه تكفيرا وتفسيقا، وعمَّت الفوضى الفكرية، من غير وازع أو دليل.

لمحاولة الوقوف على هذه المعاني تنطلق الدراسة من تحديد المفاهيم التالية:

مفهوم الإصلاح في اللغة: ورد المصطلح في المعجم الوسيط[1] تحت مادة (صلح) صلاحا، وصلوحا: زال عنه الفساد و الشيء كان نافعا أو مناسبا يقال هذا الشيء يصلح لك، (صلح) صلاحا وصلوحا صلح فهو صليح، (أصلح) في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح نافع و الشيء أزال فساده وبينهما أو ذات بينهما أو ما بينهما أزال ما بينهما من عداوة و شقاق و في التنزيل العزيز: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَ ﴾[2].

وقوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[3]، واللّه لفلان في ذريته أو ماله جعلها صالحة، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾[4].

تعريف الإصلاح في الاصطلاح: معاقدة يتوصل بها إلى إصلاح بين متخاصمين"[5].

يتضح من المعنيين أن مدار الكلمة على كل ما من شأنه التقريب، والإتيان بالنافع.

تعريف الفكر في اللغة: (فكر) الفَكْرُ والفِكْرُ إعمال الخاطر في الشيء[6]، وفي معجم المقاييس الفاء والكاف والراء: تردُّدُ القَلْب في الشَّيء.

(١) مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، باب الصاد، ج١، ص ١٠٧٨.
(٢) سورة الحجرات الآية ٩.
(٣) سورة الأنفال الآية ١.
(٤) سورة الأحقاف الآية ١٥.
(٥) علي بن غازي التويجري، الإيضاح لما ورد في السنة والكتاب من مسائل الإصلاح، ص ٦.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط١، ج٥، ص ٦٥.

يقال: تفكّرَ: إذا ردَّدَ قلبه معتبرا. ورجلٌ فِكِّير: كثير الفِكر[1].

تعريف الفكر في الاصطلاح: إن استبان أنّ مدار المسألة من هذه الزاوية على النظر والإعمال، تُحيلنا صفحات التراث إلى قضية نشأة الفكر وتطوره وتصوغ له تعريفا كونه:" سلسلة متصلة وعمل عقلي يمثل ناتجه تراثا حضاريا يخلفه السابق للاحق"[2].

تعريف الإصلاح الفكري كمركب إضافي: حين يتعلق الأمر بالمؤسسات التعليمية والتربوية يرد مفهوم الإصلاح بـ: " التغيير الكلي للمؤسسة التعليمية بما يحدد لها أهدافا جديدة مع المحافظة على بنيتها التحتية وتركيبتها البشرية"[3] إذ هو يركز على نقطتين أساسيتين هما: الانطلاقة من القاعدة والأساس، والوصول إلى الأهداف في المقررات والمناهج الدراسية. بصورة مباشرة تبدو أهمية العقل باعتباره المعني بالخطاب الإصلاحي وإذا كان الغرض من الموضوع هو مسالك تقويم الإسلام للحياة البشرية وتنزيلها على الواقع بما يضمن السلامة في الأفكار، فإن مفهوم الإصلاح يتخذ مفهوما إسلاميا محضا ويصاغ كالتالي: "محاولة الولوج إلى عالم الأفكار وتنقيتها، لتحقيق الأصالة الإسلامية، وتصويب الرؤية الحضارية، وتمكين الأمة من الشهود الحضاري، وبناء العقل القادر على استلهام الأصالة، وهضم الحداثة وتمثلهما في مشروع حضاري إسلامي معاصر متكامل متحرر من أزمة الفكر وأوهامه، وخطأ المنهج

(١) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَرِيّا: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.، ج٤، ص ٣٥٧.

(٢) حسن الفاتح قريب الله، الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، ، مطبعة الأمانة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٣.

(٣) الوثيقة الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (La refonte de l'enseignement supérieur) المطبعة الرسمية شارع بارك، الجزائر، ١٩٧١م.

وانحرافاته"[1].

أسباب الانحراف في المؤسسات التعليمية: أدَّت المسارات الفكرية المختلفة[2] دورا بارزا في انزلاق الفكر قي شتى أنواع الثقافات، وهي بعملها هذا دعوة صريحة لإطلاق العنان، إزاء مقوم متغير يقبل التأثر والتأثير، و إن كان من المبالغة الحكم بالإنفراد للمؤسسات التعليمية في وضع الفكر في ميزان الضبط، فليس غريبا أن تعلو على غيرها من المؤسسات، فهي الوعاء الحاوي لمختلف أنواع الفكر.

تشير الدكتورة رانيا نظمى[3] في مقال حول الانحراف الفكري ومظاهره إلى بعض العوامل المؤدية للانحراف الفكري، وهي:

- نقص التربية الإيجابية المعتدلة، وقلة الفقه في الدين والجهل بالكل والجزء، وعدم الربط بين الفرع والأصل.
- عدم أخذ العلم الشرعي من أهل العلم والعلماء، والاعتماد على أصحاب الأصوات المعارضة العالية.
- ضعف الولاء لولاة الأمر؛ للجهل بفقه الولاية، وضعف الولاء للوطن.
- تعدد الفتاوى الشرعية في الموضوع الواحد لدرجة تصل إلى التناقض.
- الجهل بفقهية النصوص الشرعية.

أما أسباب الانحراف الفكري فقد أبرزته صاحبة المقال في نمطين أساسين، الأول متعلق بالأسرة، والثاني بالمؤسسات التعليمية والتربوية، وهي كالتالي:

(١) طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٤٩٤م، ص ١٢.

(٢) يقصد بالمسارات الفكرية المختلفة كل طريق يحارب الإسلام أو يشكك أو يطعن كمسار الإستشراق، و التجديد، العلمانية.....

(٣) حصلنا على هذا المقال عبر شبكة الأنترنيت، ولم نجد من معلومات للمقال عدا انتساب الدكتورة إلى قسم الثقافة الإسلامية.

أ ـ الأسباب الأسرية:

- ضعف التربية الصحيحة من خلال الأسرة
- قلة المتابعة، والعناية، والاهتمام بأفراد الأسرة من الأولياء في المجتمعات العربية والإسلامية.
- التفكك بين أفراد الأسرة.
- عدم مراعاة حاجات، وخصائص أفراد الأسرة.
- القصور في الأساليب التربوية والأسرية (التدليل الزائد– القسوة والتشدد).
- ضعف الحوار والتشاور بين أفراد الأسرة.

ب ـ الأسباب التعليمية والتربوية:

- ضعف التربية من خلال المؤسسات التربية والتعليمية (المدرسة – الجامعات). وحتى مراكز التكوين
- التركيز على المادة العلمية، وإغفال الجانب التربوي وفقدان الحوار.
- القدوة السيئة في بعض المعلمين.
- عدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.
- ضعف دور الإرشاد الطلابي.
- ضعف الأنشطة التي تلبي قدرات، واستعدادات، ورعاية الطلاب.
- عدم التركيز على حل المشكلات النفسية، والاجتماعية داخل المؤسسات التعليمية.
- ضعف الحضانة الذاتية.

القصور في ربط دور البيت بدور المؤسسة التعليمية، وعدم وجود آلية واحدة للتربية كل منهما يكمل الآخر ويتوحد في غرس الفكر الصحيح.

تأثير قنوات الإعلام على مبادئ وقيم الإنسان العربي، ومن أكبر الآثار زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس النشء وشيوع الرذيلة وإثارة الغرائز وعرض

السلوكيات المغلوطة في سياق جذاب، والاستخفاف بالقيم، وانخفاض المستوى التعليمي وزيادة التبعات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

التقنية الحديثة، وإدمان شبكة المعلومات ودخولها إلى العقول والوصول إليها بغير غاية يؤدي إلى الانحراف الفكري، إن لم يتقدمه بمناعات ومعايير وضوابط على عقول الشباب في مراحل نمو تفكيره الأولى.

هذا مجمل ما ذكرته الدكتورة في هذا الإطار، مما يعطي صورة واضحة عن مدى استفحال الظواهر الفكرية الشاذة على رأسها التكفير كمظهر اجتماعي سلبي، في ظل التناشز والانفكاك الأسري، والمروق التعليمي والتربوي.

يفضل بعض الباحثين في هذا المجال إرجاع مفهوم الانحراف الفكري إلى قضية الاستقطاب الفكري ومعولين على حصر تعريفها في ما تعلق بالاستشراق فحسب وعرفوا الاستقطاب بـ:" ارتباط الفاعلية الحضارية في شقها الفكري الإبداعي بالطرح الاستشراقي لقضايا ومشكلات الفكر الإسلامي"[1] وهو توجه صحيح في تأريخ المؤسسات التعليمية في القرن الماضي، خاصة في سنوات المحنة وقرن الفتنة كما سماها محمود شاكر في تقديمه لكتاب الظاهرة القرآنية[2]، إلا أنه قد تداعت إلى قصعة قضايا الفكر الإسلامي الكثير من الحركات الفكرية ومنها الحركة التجديدية، أو التنويرية التي تكلم أصحابها باسم الحرية الفكرية، والثقافة والتحرر الإنساني، فاستباحوا معلوما من الدين بالضرورة، وهذا ما يفسر الردود التي تلقاها أصحاب هذه الوجهة الفكرية، في كتب ومصنفات ورسائل علمية

(١) جمال سلطان: جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٧٣.

(٢) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، بيروت، ص ٣٥.

ربما كان بعضها شديدا في الرد، حتى إذا تصفحنا أحدها[1] وجدنا عنوان أول فصول الكتاب:" هم العدو فاحذرهم" وهو دليل على مدى الانحراف الفكري الذي بلغه هؤلاء، فلا سبيل إذا إلى تقويمهم إلا بميزان الإسلام.

لعله من غير المنطقي فرض برامج الإصلاح على حساب مراحل الشخصية وحاجيات العقل، لذا حاولت العديد من الدول من بينها الجزائر في ظل برنامج الإصلاح رعاية هذه المتطلبات مولية الاهتمام الأول إلى الفكر المقبل على مواجهة أخطار المراهقة، فمن خلال برنامج مادة العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي مثلا نقف على نصوص ومواد صيغت على سبيل الموازنة بين ضروريات مرحلة المراهقة، وبين التوجيه السليم للعقل في استقبال الخطاب، فورد في البرنامج: "ولهذا جاءت مادة العلوم الإسلامية في المرحلة الثانوية؛ استجابة لمتطلبات هذه المرحلة الحساسة من أطوار حياة المتعلم، لتتيح له الفرصة لوضع سلوكيات على المحك بخطاب عقلي وعاطفي متزن، كما تأخذ بيده إلى شاطئ الاعتدال في كل شيء، معتمدة في ذلك الإقناع والحجة البينة"[2].

تلمُسُ واقع هذه المادة يحيل بالضرورة إلى مدى حرص الصياغة على وضع أسس إسلامية محضة تضمن اعتدالا فكريا في مستقبل العطاء الفردي ثم الجماعي للمتعلمين، وهو أحد الغايات التي يسعى إليها برنامج المنهاج الجديد[3] في المؤسسات التربوية.

إذا أحلنا النظر إلى المرحلة الجامعية في ما تعلق بتخصص العلوم الإسلامية

(١) سيد بن حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عيري، السعودية، ج١، ص ٥.

(٢) وزارة التربية الوطنية، اللجنة الوطنية للمناهج، منهاج العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي، جميع الشعب، ص ٣.

(٣) يقصد به نظام المقاربة بالكفاءات الذي تم تطبيقه عام ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م في المؤسسات التربوية بالجزائر.

في إطار النظام الجديد[1]، وجدنا البرنامج يؤكد على أنَّ المعارف التي يتلقاها الطالب هي امتداد لما سبق وأن تلقاه في المراحل السابقة، وفي ظل عملية التعميق هذه قد بتعرض الفكر لمضايقات كثيرة تكون سببا في الانزلاق.

الوظيفة الأساسية للفكر تمجد القيم وتنبذ التعدي والإقصاء:

هذه النتف من ميثاق الجامعة توحي بمدى خطورة الانحرافات الفكرية بما فيها التكفير، والانزلاقات المتوقعة في ظل الجهل بالوظيفة الأساسية للفكر، والقائمة في بعض أصولها على الاعتراف بالآخر أكاديميا وعلميا، إذ القاعدة أساسا هو العقل المسلم وعلاقته بالقيم "ولا يمكن تصور انعدامها بين الاثنين، أو وجود أزمة قيم، بل الخطبُ في التعامل مع القيم، والإنتاج الفكري الذي يجسَّر العلاقة بين هذه القيم بمنطلقاتها وأهدافها وبين العصر، ويساهم باستصحاب الرؤية القرآنية وقدرتها على حل المشكلات البشرية"[2].

لقد كتب الكثير من الباحثين عن الفكر والتفكير، سواء من أبناء الإسلام أم من ديانات أخرى، تكاد هذه الدراسات لا تخلو من الإشارة إلى ما يجب أن يكون عليه التفكير كي ينجب معرفة صحيحة[3] مقبولة في الأوساط التعليمية، قد تكون المعرفة عُرضة للنقد بدليل أقوى أو أصح، لكنها لا تكون مدعاة لاتهام الغير بانحراف فكري ينجر عنه تكفيره، وعليه فإنَّ خطوات التصويب والتصحيح تنضبط بحدود لا تعدوها، وأنَّها عُرضة للفشل في ظل غياب التنزيل المقاصدي والفقهي لأهل الاختصاص، إذ

(١) بقصد به نظام ل م د. وهو نظام مستورد من الدول الأنجلوساكسونية، بدأ تطبيقه في الجزائر سنة ٢٠٠٤م، ثم عُمم على جميع الجامعات بناء على مقترح فتح يقدم من الجامعة المعنية، ثم أصبح نظاما عاما شاملا معوضا للنظام القديم ابتداء من الدخول الجامعي ٢٠١٠ / ٢٠١١م.

(٢) طه جابر العلواني، المرجع السابق، ص ٤.

(٣) الفرق بين المغرفة الصحيحة والحقيقية أنّ الأولى قابلة للتخطئة كلما استبان دليل أقوى، أما المعرفة الحقيقية فهي نسبية.

من ظنّ أنّه على حق مطلق فهو على خطأ مطلق، ولله در الإمام الشافعي حين يقول: "قولي صحيح يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب". وربما نطقها الإمام الشافعي قاصدا بها علماء دين الإسلام، الذي اتسعت سماحته ليشمل هذا المعنى مع غير المسلمين، قال ابن رشد المالكي: "يجب علينا إذا ألفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وأثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذّرناهم منه وعذرناهم"[1]. ولم يصدر عن هؤلاء الأعلام ما يدل على التكفير أو ما في معناه، ما دام الأمر موكولاً للنظر والتثبت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأَما "التَّكفير": فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد – ﷺ – وقصد الحق فأخطأ: لم يكفَّر؛ بل يغفر له خطؤه. ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى واتبع غير سبيل المُؤمنين[2]: فهو كافر. ومن اتَّبع هواه وقصَّر في طلب الحقِّ وتكلَّم بلا علم: فهو عاص مذنب. ثمَّ قد يكون فاسقا وقد تكون له حسنات ترجَحُ على سيِّئاته. ف"التّكفير" يختلف بحسب اختلاف حال الشَّخص فليس كلُّ مخطِئٍ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا؛ بل ولا فاسقا بل ولا عاصيا"[3].

ليس بعيدا عن الكتابات الإسلامية تستوقفنا مقدمة كتاب عن التفكير أورد فيها صاحبها العبارة التالية: "وليس من الضروري لكاتب يكتب عن

(١) ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٢، ص.١٣٣.

(٢) إشارة إلى الآية ١١٥ من سورة النساء.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، ج١٣، ص ١٨٠.

التفكير الأعوج بأن يدعي لنفسه زورا بأنه هو نفسه مثال التفكير المستقيم . إذ لا يمكننا أن نفهم التفكير الأعوج إلا إذا راقبناه نحن في تفكيرنا خاصة، وفي كتابات الآخرين وخطبهم"[1].

ولذا، فإنّ المؤسسات التعليمية والتربوية بمقتضى دورها تجاه ضبط التفكير ووزنه بميزان الشرع تتكفل بتوجيه النشء نحو تقبُّل الخطأ القابل للتصويب، بدلا عن تقبُّل الصواب الذي لا يقبل الخطأ، ولعلَّ ظاهرة التكفير إحدى أسباب التأويلات الخالية من التنزيل الشرعي والمقاصدي، اجتذبت طائفة من الناس فضلوا وأضلوا.

لعلَّه من المفيد أن يشير هذا الموضوع إلى العمل الإسلامي الذي أرضى الطبقة العامة من أبناء الإسلام، التي لا يعدو نظرها الكم الهائل من الحركات والجمعيات الإسلامية[2]، التي تشكلت تحت إطار العمل الإسلامي الخالص[3]، لكنه لاقى تعليقات وتوجيهات من الطبقة المثقفة والعالمة من أعلام الأمة، التي أدركت حقيقة ما يجب أن يكون عليه الفرد في إطار العمل الإسلامي، حتى إذا التقت حماسة الجماهير الإسلامية مع عمل إسلامي ينقصه الترشيد والتوجيه يحدث الانزلاق، ومع ما يتطلبه العمل الإسلامي من صبر تكون هذه الحركات إزاء عملية "تغذية للجماهير الإسلامية بالفكر الصائب السديد في مجالات الفكر والمعرفة والثقافة بما يزكي وسائل الأمة ويقدم لها الدليل للتعامل مع الداخل الإسلامي، والخارج المعاصر"[4].

أثر الثقافات الدخيلة على المؤسسات التعليمية في تشكيل الإنسان الخطأ:

(١) روبرت شاولس، التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، ترجمة حسن سعيد الكرمي، عالم المعرفة، ١٩٧٩، ص ١٠.

(٢) المقصود بها كل ما حمل على عاتقه خدمة المشروع الإسلامي.

(٣) قد تنخدع الجماهير الإسلامية حتى بمن لا تعدو علاقته بالإسلام حد الانتساب

(٤) طه جابر العلواني، المرجع السابق، ص ٥٨

من جانب آخر تظهر وظيفة المؤسسات التربوية والتعليمية في ترويض العقول على هذه الوظيفة: (وظيفة الفكر السابقة الذكر) في ظل الاختلاف مع الآخر، وأن العملية التربوية والتعليمية تلتزم الحرص على النتائج المتوخاة، وربما تظهر المشكلة في تشكيل "الإنسان الخطأ، والذي ينتج المسالك والمواقف الخطأ وهو بهذا لا يقل خطورة عن الفتوى في أمور الدين من رؤوس جاهلة، تفتي بغير علم، فتضل وتضل"[1].

إنَّ عملية تشكل الإنسان الخطأ تعنى بها البلدان العربية والإسلامية، ربما انطلقت ابتداء في تجنب هذه الكارثة الفكرية من إعادة تشكيل العقل المسلم، حين فقد دعامتي النجاح والتفوق في العصور الأولى وهما التأمل في الوجود واكتشاف أسراره، والتأمل في الكتاب المسطور والتمسك بحقائقه، إن ضياع العقل المسلم والدعوة إلى إعادة تشكيله وصياغته لا يجب استصغار حجمها، بل هي من الخطورة بمكان، إذ إنَّ فقدان هاتين الدعامتين جعل العقل في استعداد تام لاستقبال الدخيل، وتقبُّل تبني ما يمليه من أفكار، ولو حافظ العقل على هذا الموروث الأصيل لما وصل إلى درجة تكفير الغير ربما باسم الإسلام أحيانا، ولعله بهذه المأساة الفكرية يُطالبُ ببعدين أساسين:" تصحيح التصور عن طريق القدرة على ربط المسارات الإسلامية ورؤيتها متكاملة ومتواصلة، لا يصطدم بعضها ببعض، ثم تخليص العقل من النظرة الجزئية للمسائل"[2] خاصة وأنَّ الرسالة الدعوية والحضارية للعقل المسلم لا تقف عند حد، لكنها تتعطل في ظل التعامل التقليدي والظاهري مع النصوص.

(١) عمر عبيد حسنة، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢) عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية، الكويت، ط٤ ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ص ١٧.

ليس أدلَّ من حرص النخبة المثقفة في البلدان العربية من خلال كتابات الفكر الإسلامي، "على قضايا إصلاح المناهج العقلية، وبناء الشوكة الفكرية، وهي في نظرهم سبيل للتعايش السلمي بين الأفكار، بل هي خدمة جليلة للإسلام، يقول طه جابر العلواني بهذا الصدد:" أن إصلاح المناهج العقلية يشكل الرحم والمحضن الذي تتشكل في داخله الأجنة الحضارية القادرة على استئناف الحياة الإسلامية، وبناء الحضارة الإنسانية"[1].

بل يؤكد العلواني على أنّ الدخيل الأجنبي على المؤسسات التعليمية كان الأقوى في صياغته، وقواعده مقارنة بالردود والانتقادات، فيقول: "وعلى المستوى الفكري يواجه الطالب الجامعي في العالم الإسلامي العقائد والفلسفات الغربية التي تُقدَّمُ له بشكل مؤسس مدروس، وغالبا ما يكون نقدها بدفاع هزيل يائس"[2] ولا شك أنَّ هذا من دواعي تفوق أولئك بباطلهم، دون تفوق هؤلاء بحقهم.

من جانب آخر فإنَّ الحديث عن استئناف الحياة الإسلامية – مقارنة بمسؤولية المؤسسات التربوية والتعليمية إزاء الإنسان – هو حديث عن التنشئة والتربية الإسلامية التي تؤدي فيها الأسرة دورا فعالا، بل تمتدُّ إلى جميع جوانب الحياة إذ " تشير أكثر استخدامات هذا المصطلح عمومًا إلى التنشئة، والتدريب الفكري والأخلاقي، وتطوير القوى العقلية والأخلاقية وبخاصة عن طريق التلقين المنظم سواء في الأسرة أو في منظمات أخرى تتولى عملية التربية طوال اليوم"[3] فالتربية قاسم مشترك بين جميع الهيئات الفاعلة، إذا انطلق منها

(١) طه جابر العلواني، المرجع نفسه، ص ٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٥.

(٣) سارة صالح عيادة الخمشي، دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب، المؤتمر العالمي لموقف الإسلام من الإرهاب، كلية الخدمة الاجتماعية، السعودية، ٢٠٠٠م، ص ٣.

الإنسان من أساس متين، وصل إلى المؤسسات التربوية والتعليمية بأمان.

يمكن الإعلان بشيء من الاطمئنان أن ظاهرة التكفير في المؤسسات التربوية والتعليمية في ظل غياب هذه القاعدة لا تخدم الإسلام في شيء، بل إنَّ الإسلام في أصوله وفروعه يركز على جلب الآخر مهما كان نمط التوجه، ثم العمل على الهداية والدعوة بالتي هي أحسن، ولنا في التعامل النبوي والصحابة عليهم الرضوان القدوة الحسنة في هذا المجال خاصة مع اليهود، وقد تواترت الراوية عن النبي – ﷺ – أنّه توفي ودرعه مرهونة عند يهودي، وهو من أتم أنواع التعامل الأخلاقي في شخصية النبي – ﷺ – حينما يربي أمته.

دواعي التكفير في المؤسسات التعليمية وواجب النخبة في البلدان العربية تجاهه:

تنطلق الحياة العلمية من المرحلة التربوية إلى المرحلة التعليمية، وهي المرحلة الكفيلة بفتح مجال الاجتهاد على مصرعيه، وربما تبدو الجامعة أكثر رحابة في هذا المجال، كما لا يخفى ما يظهر فيها من استعلاء لدى نزريسر من الطلبة حين يغتر بعضهم بحروف يحفظها، وقد تنتقل العدوى العلمية إلى طبقة الأساتذة، وهذا لا يضمن عدم وجود انتصار مجموعة من الطلبة إلى أستاذهم، ويظل الأمر محمودا ما لم يتجاوز هذا الانتصار حد الأدلة الشرعية والعلمية، خاصة مع اختلاف وتفاوت الكفاءات التي منحها لله تعالى لكل شخص، لكنه يبدو مذموما إذا تعلّق بعقيدة الناس مساسا، الواجب في هذه الظروف في ظل البحث العلمي هو تبيين خطأ المخطئ، وتصويب المصيب دون الوصول إلى حد إخراج المخطئ من الملة، لقد شهدت الجامعات العربية العديد من هذه التجارب، والعدل كل العدل أن يُسند عمل المخطئ أو آراؤه إلى أهل العلم فهم ورثة الأنبياء، وهم الأدرى بفقه الاستتابة قبل الحكم، وليس من العدل أن يكون الخطأ سببا في التكفير كما يشير إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض الحديث عن العلماء حين يقول:" فإن بعض العلماء قد يتكلم في مسألة

باجتهاده فيخطئ فيها فلا يكفر"[1].

ومع ذلك فإنَّ الانحراف في التفكير أمر وارد في ظل الاستقطاب الفكري والثقافات الواردة والدخيل الأجنبي، فيكون بذلك الإصلاح الفكري واجب إذا انحرف المفكر في بعض آرائه بعد واجب الاستتابة، لأنَّ الاختلاف مع الآخر حتى في فروع الشرعيات وارد، ولذا فإنّ الدول العربية في ظل مشروع التنمية العربية ألحّت على ضرورة فهم العلاقة الوطيدة بين الدين والدنيا والعلم، وهذا ما أشار إليه تقرير التنمية الإنسانية العربية حين وردت الصياغة التالية:" لاشك أن علاقة الدين بالمعرفة، وإنتاجها ترتبط ارتباطًا عضويًا بالمفهوم الذي يتحدد عن ماهية الدين، وموقفه الشامل من الدنيا، وفي النصوص الدينية الإسلامية نتبين حالة من التوازن المنشود بين الدين وبين الدنيا، لكننا نشهد – أيضًا – تشديدًا عظيمًا[2] على أهمية مفاهيم النظر والاعتبار والتفكير والعلم والعقل والتعقل، وعلى ما يتعلق باستخلاف الإنسان في الأرض وضرورة إعماره للدنيا والنظر في ملكوت السموات والأرض وتسخير الكون لخير الإنسان"[3].

فالعلاقة بين الدين والدنيا والعلم تنضبط بما يمجد المعرفة، لكنه لا يتعدى حدود الدين إذ هو الأصل في كل شيء، وواجب على العاملين في حقل العمل الإسلامي إدراك هذه الحقيقة، ليتمكنوا من تخليص الأمة مما علق بها من شوائب فكرية لا تخدم الإسلام في شيء، وهو عمل جليل يتطلب تضافرا في الجهود يمجَّد التنافس المحمود وينبذ المذموم، "بل بتجاوز التناول العقدي

(١) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ج٣٥، ص ٩٩.

(٢) يفهم من لفظة التشديد الحرص على التفكر والتدبر.

(٣) تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠٠٣، المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص ١١٨.

الـذي ينزلـق إلى الحكـم بـالتكفير سـواء للمجتمـع أم الأفـراد ، أو المـذاهب، ويتجـاوز التنـاول الفقهـي والطـائفي الـذي يـؤدي إلى الـصراع والعنـف مـع سـائر الفئات"[1].

ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم في التجربة العربية عموما والجزائرية خصوصا:

يؤكد ميثاق الجامعة الجزائرية المقرر في أفريل ٢٠١٠م في ظل النمو المعتبر في انتشار الجامعات والمراكـز الجامعيـة، وبعـد اجتمـاع الأسـرة الجامعيـة علـى الغرض المقرر في صياغة الميثاق وهو:"إقرار سلوكات وممارسات جامعيـة مثلـى في مجـالي آداب المهنـة وأخلاقياتهـا ، ومحاربـة مـا يلحقهـا مـن انحرافـات"[2] ولا يمكن بأي حجة إقصاء ظاهرة التكفير من ممنوعات هـذا الميثـاق، فظـاهرة التكفير لا يختلف اثنان في كونها انحراف فكري محض خاصة إذا كان بدون مصوِّغ.

في دراسة تحليلية بسيطة لبعض مواد هذا الميثاق يتضح بجلاء تأكيد هذا الميثـاق على استبعاد ما يؤدي إلى الإنحرافات الفكرية ومنها[3]:

"**النزاهة والإخلاص**: ويعني رفض الفساد بجميع أشـكاله": القـراءة السـريعة لهذه العبارة قد تشفع لحامل الفكر التكفيري على اعتبار الشذوذ الفكـري أو الخـروج عـن الـدين (في حـدود تـصور الـشخص) فـساد فكـري يوجـب التكفير، لكنه قد يتناسى أن التكفير بدون الضوابط الشرعية هو فساد في حد ذاته، خاصة وأن الميثاق يحدد رفض الفساد في النفس قبل الغير.

"**الحرية الأكاديمية**: في ظل احترام الغير، والتحلي بالضمير المهني، والتعبير عن الآراء النقدية بدون رقابة أو إكـراه" والتكفير بـأي حـال مـن الأحـوال هـو

(١) طه جابر العلواني، ص ٥٨.

(٢) وزارة التعليم العالي، ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية، أفريل ٢٠١٠، ص ٢.

(٣) الميثاق، ص ص ٢، ٣.

خرق ظاهر لاحترام الغير، ومن الإنصاف الإقرار أن الحرية الأكاديمية وانعدام الرقابة والإكراه لا تبرر التعدي على المقدسات والشعائر الإسلامية، إنما الغرض هو الاختلاف في الرأي بالقدر الذي يحافظ على الشعائر الإسلامية، وإنما كان الخلاف بين العلماء أمر محمود.

الاحترام المتبادل: في إطار نبذ العنف الرمزي والمهني واللفظي" ولاشك أن ظاهرة التكفير تندرج حتما تحت إحدى هذه الأشكال. ربما الحاجة إلى تحديدها ليست ملحة، لكن النظرة الأولية قد تجعلها ضمن العنف اللفظي.

وجوب التقيُّد بالحقيقة العلمية والموضوعية والفكر النقدي: وهما مبدأن أساسان لا يشفعان للتكفير كظاهرة يمكن وصفها بالمرضية، في ظل غياب المبررات الكافية، وإن الحقيقة العلمية لا تشفع في تعدي الحدود الشرعية، بل إن الوصول إلى الحقيقة العلمية مبدأها الأساس هو التوفيق الرباني، ولا يمكن أن يوفق الله – تعالى – إلى حقيقة في أصلها تعدٍ على حدود الشرع، حتى لا تُعطى الفرصة أصلا لتكفير صاحب الحق، أما الفكر النقدي ففي ضوء ما أقرَّه الإسلام في مخالفة الآخر في الرأي، مع الالتزام بالمقومات الفكرية التي تضمن حدا معتبرا من التماسك الاجتماعي، في هذا الإطار يقول محمد عبيد حسنة: "على الرغم من وجود مقومات ومكونات الفلسفة التربوية الكاملة والمتكاملة في الإسلام، بكتابه وسنته، ووجود الأبنية الفكرية التربوية في نطاق العقيدة، والعبادة، والمعاملة، والسلوك، والأخلاق، والفكر، والمعرفة، فإن المطلوب من الوسائل التربوية، أو الآليات التربوية هو: التأصيل لكيفية إحداث التفاعل، لإعادة بناء النسيج الاجتماعي للأمة في ضوء ذلك"[1].

(١) عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والحركة والدعوة، ص ٦٣.

إذا كان من المحمود شرعا أن يُثمَّنَ التعاون والتبادل بين الدول العربية في مجالات التنمية، وكان الإصلاح بكل أشكاله مطلوباً في ظل السبق في التجارب وتوفر الإمكانات، فالتجربة في المملكة العربية السعودية تؤكد من خلال ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم:" على أن سمو مهنة التعليم ورفعتها يكمن في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها المسلكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء"(١)، ويحرص الميثاق على تعريف أخلاقيات مهنة التعليم ب": السجايا الحميدة، والسلوكيات الفاضلة التي يتعين أن يتحلى بها العاملون في حقل التعليم العام فكرا وسلوكا أمام الله، ثم أمام ولاة الأمور، وأمام أنفسهم، والآخرين، وترتب عليهم واجبات أخلاقية"(٢).

من المفيد أن نذكر بعض هذه المواد التي نص عليها الميثاق والتي تفيد بكل دقة ووضوح ما يجب أن يكون عليه رائد مهنة التعليم، وما ينبغي أن يلتزم به ويبعده عن كل معاني الانحرافات الفكرية:

- المعلم مثال للمسلم المعتز بدينه المتأسي برسول الله – ﷺ – في جميع أقواله وأفعاله وسطيا في تعاملاته وأحكامه
- يسهم المعلم في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الطلاب، وغرس أهمية مبدأ الاعتدال والتسامح والتعايش بعيدا عن الغلو والتطرف.
- المعلم أنموذج للحكمة والرفق، يمارسهما، ويأمر بهما، ويتجنب العنف وينهى عنه، ويعوِّد طلابه على التفكير السليم والحوار البناء، وحسن الاستماع إلى آراء الآخرين.

(١) وزارة التربية والتعليم، ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص ٤.

(٢) الميثاق، ص ٥.

استجابة برامج الإصلاح لمواصفات المعلّم القدوة:

أنتج هاجس انتشار الانحرافات الفكرية في المؤسسات التعليمية والتربوية رغبة لدى القائمين بإعادة النظر في الصياغة المعتدلة لبعض قوانين المؤسسات، حرصت التجربة الجزائرية تبعا للضمير العربي والإسلامي على هذه الصياغة في مواد ميثاق الجامعة السابق الذكر، وأولت جانبا مهما إلى طرفين أساسين في المؤسسة التعليمية يبين حقوق والتزامات كل طرف، فعلى مستوى المعلم أقرّ الميثاق ما يلي:

- الاجتهاد من أجل الامتثال ما أمكن للمعايير العليا في ممارسة نشاطه المهني.
- على فقهية مصطلح الاجتهاد إلا أن حدوده لا تتجاوز حد الضمير المهني إلى حد النصوص الشرعية، ورعاية مبدأ التخصص وإن حدث هذا فهو من أخطاء الفهم.
- عدم التعسف في استعمال السلطة التي تمنحه إياها مهنته: إذا سُمح لهذا الموضوع أن يوسع النظرة، فللفكر سلطة يستغلها متى شاء في الترويج لفكر معين، خاصة إذا امتلك صاحبها حججا على زيفها إلا أنها تبدو صحيحة، مما يحيل على الانخداع بالضرورة.
- الامتناع عن تسخير الجامعة لأغراض شخصية: ظاهرة التكفير من هذا المنظور قد لا تظهر إلى العيان، وقد تسود في الوسط التعليمي دون علم الهيئات القائمة، وباعتبار التكفير يمثل استجابة لدوافع شخصية أحيانا[1] يمكن عدها قضية جزئية من عموم هذه المادة.
- التصرف كمحترف في التربية عن طريق الاطلاع على المستجدات والسهر

(١) من الدوافع الشخصية: الاختلاف في الرأي، ابتغاء الشهرة، .....

على التحيين المتواصل لمعارفه، والقيام بالتقييم الذاتي مع البرهنة على الحس النقدي، والاستقلالية، والدراية التامة بتحمل المسؤولية.

- القيام بالتدريس والبحث تماشيا مع المعايير الأدبية والمهنية العالمية بعيدا عن جميع أشكال الدعاية والاستمالة المذهبية. تُلامس هذه المادة ظاهرة التكفير بقوة، خاصة إذا خالفت المهنة الثقافة الإسلامية المنشودة، تظل المعايير الأدبية محصورة في النطاق المؤسساتي والتربوي، وهي أشد حرصا على التماسك المنهجي والأكاديمي بين الفئات المتعلمة، لكن المهنية العالمية تمنع استصدار الأفكار الأجنبية بما يخدم التوجه المذهبي، تُفضي هذه المهنية في جزء منها التنبيه إلى الجامعات الأوربية في ظل احترام التوجه الفكري من دون التعريض أو الإشادة.

المواصفات الأخلاقية في مهنة التعليم:

تشير من جهة أخرى الدراسات الحديثة في مجال التربية والتعليم إلى الجانب الإسلامي في شخصية المعلم، تفضل بعضها ترويض هذه الشخصية بين المواصفات التالية:

- المواصفات الإيمانية[1]: وتشمل الثقة بالله في ما شرَّع لعباده، الصدق، العدل، الصبر، الأمانة، التنزه عن الشبهات، الإفتاء – إن تسنى له ذلك – في حدود الضوابط الشرعية.
- المواصفات الشخصية[2]: ونشمل حسن المظهر، الحلم، والعفو عند المقدرة، الشجاعة العلمية، الرفق، واللين، التواضع.

(١) عاطف سالم أبو نمر، مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامي ومدى تمثلها لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية من وجهة نظر طلبتهم، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية بالجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٧/٢٠٠٨م، ص ٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٩.

- المواصفات المهنية[1]: وتشمل سعة الأفق والاطلاع، إدراك طبائع المتعلمين، إعمال العقل بدون تعسف، مراعاة الفروق الفردية، التدرج في تقديم المعلومات، الاعتدال في إثابة الطلاب وعقابهم، التمكن من المادة العلمية، الإلمام بالثقافة العامة وثقافة المجتمع.

استجابة برامج الإصلاح لمواصفات المتعلم المرجو:

أدرك القائمون في مجال التربية والتعليم أن الخطاب التعليمي في المراحل المتقدمة للتعليم هو بذرة للسابق منها، حتى إذا اقتنع بالفكر التكفيري باعتباره انحرافا فكريا محضا فإنما مرده إلى نمط وطريقة التوجيه في التلقي منذ السنوات الأولى للتعليم، فإذا كانت طريقة الإلقاء صحيحة كانت طريقة التلقي صحيحة، وعليه يركز الإصلاح من هذا الجانب على إدراك المتلقي منذ المرحلة الأولى لأنواع الخطاب، ومثالها مادة اللغة العربية مثلا في السنة الثالثة من التعليم الابتدائي تعتمد في مقرر الإصلاح على أربع نقاط أساسية وهي: "استقبال المتعلم لخطاب شفوي وإدراك مدلوله، استقباله لخطاب كتابي وإدراك مدلوله، تحرير خطاب شفوي وإدراك مدلوله، تحرير خطاب كتابي وإدراك مدلوله"[2].

لا حرج من الجانب العلمي أن تُعَدَّ ظاهرة التكفير استجابة محضة لأحد أنواع الخطاب هذه، يؤدي التسرع والحماسة – عادة – دورا بارزا في إطلاق عنان الأحكام، ويفترض أن عملية ترويض الطالب على التلقي الصحيح يقلل من نسبة الانحراف الفكري.

ظاهرة التكفير وعقلنة الجماعة المدرسية:

مفهوم الجماعة المدرسية:" هي مجموعة من الطلاب لهم ميول مشتركة،

(١) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) موقع وزارة التربية الوطنية الجزائرية.

وهوايات واحدة، ويشتركون معا في نشاط معين يهدف إلى إشباع هذه الميول"[1]، الصياغة التعريفية من الناحية العلمية الأكاديمية توحي بالإيجابية، ربما تتمكن هذه الجماعة من تحقيق مكانة معتبرة في مستقبل الدولة، والتعليم حتما جزء من تخطيطها الشامل، إذا لم تتعد ميولهم إطارها العلمي، لكنها إذا انقلبت إلى جماعة فكرية أو مذهبية أو حزبية أو سياسية حام الخطر على المؤسسة التعليمية، وأضحى من الصعب ضبط هذه الميول.

يمكن اعتبار ظاهرة التكفير إحدى أهم الانحرافات الفكرية استهدافا من طرف الجماعة المدرسية، – إذا فقدت الهدف العلمي –، وهذا ما يؤكد ضرورة متابعة برنامج الإصلاح منذ السنوات الأولى، ومع الموازنة بين المسايرة الإسلامية وتطور الفكر يمكن ضمان اعتدال فكري لدى هذه الجماعة، وتكون رعاية هذه الجماعة مطلوبة بالتأكيد على الأصول الإسلامية والتشبث بالتحولات[2] التالية:

- النقلة التصورية الاعتقادية: تشكل هذه النقلة أهم مرحلة في حياة الإنسان، لا لحسنة الابتداء بها، بل لأن الله – عز وجل – تحدَّث عنها في القرآن حين قال: ﴿ آلر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[3]، وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[4] وغيرها في هذا المقام كثير، وبهذا الخطاب يعمل المخاطبون به على إدراك أهمية الوجود بين التصور الصحيح والاعتقاد السليم، بل يعمل الاعتقاد على تصويب التصور حين تَزِلُّ به القدم، ترسيخ

(١) محمد سلامة محمد غباري، الخدمة الاجتماعية المدرسية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٨٩، ص ١٧٢.

(٢) عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣) سورة إبراهيم الآية ١.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٣.

هذه القدم يبدأ حتماً من السنوات البكر في التعليم.

- النقلة المعرفية: تعتمد هذه المرحلة على تصميم العقل الواعي بواقعية قوله – تعالى –: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[1]، ليس من باب الصدفة أن تخاطب العقول بالقراءة ابتداء، لكنها إشارة عظيمة إلى مدى الحرص القرآني على التهيئة الإنسانية لإدراك الوجود، بل إلى أساس العلم في الحياة البشرية، ومع تعدد نمط الخطاب القرآني في طلب التدبر والتفكر من مثل قوله – تعالى –: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[3] وقوله: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الالْبَابِ ﴾[4] كلها وغيرها كثير إنما هي" لإلزام العقل المسلم بالإيمان بضرورة التحول، والتشكل؛ كي يتلاءم مع التوجه المعرفي الذي أراده الإسلام"[5].
- النقلة المنهجية: العبث في حياة الإنسان الفكرية إنما هو لانعدام المنهج مهما كان نمطه، فتقويمها وضبطها لا يتحقق إلا به، وعليه فالجنوح الفكري يتحقق إما لعدم وجوده أصلا (المنهج)، أو لعدم كونه على كتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه – ﷺ –، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[6] وفي الحديث المروي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهم (ما تمسكتم بهما) كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على

(١) سورة العلق الآية ١.
(٢) سورة ق الآية ٤٥.
(٣) سورة الكهف الآية ٥٧.
(٤) سورة ص الآية ٢٩.
(٥) عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص ٥٦.
(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥.

الحوض). أخرجه مالك مرسلا والحاكم مسندا وصححه[1].

أو لتطرف ظاهر في تأويل النصوص على غير مراد الله – تعالى –، ومنه فعملية البحث عن المنهج تتطلب وقتا طويلا يمر بالمرحلتين السابقتين، وحينها سيجد منهجا واحدا كله حق وعدل وهو منهج السلف عليهم الرضوان، المتزن إذ لا إفراط ولا تفريط، يقول الشيخ العلامة د. صالح بن فوزان الفوزان: " هناك من يدعي أنه على مذهب السلف لكن يخالفهم، يغلو ويزيد، ويخرج عن طريقة السلف، ومنهم من يدعي أنه على مذهب السلف ويتساهل، ويضيع، ويكتفي بالانتساب.الذي على منهج السلف يعتدل، ويستقيم بين الإفراط والتفريط، هذه طريقة السلف لا غلو ولا تساهل"[2]، ولهذا قال الله – تعالى –: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الاوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الانْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3]، والشاهد في قوله – تعالى – :﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾.

الواجب الدعوي بين مؤسسات الدولة:

اشتركت مؤسسات التربية والتعليم في تكوين المجتمع في جميع نواحي الحياة، وهي مسؤولية تكفل بقوة وتدعم مناحي التنمية المنشودة، يتطلب الواجب الدعوي اهتماما خاصا بمقتضى وجوبه يتعدى المؤسسة الدينية إلى مختلف المؤسسات، إذ يمكن أن تتوفر الحكمة والموعظة الحسنة في أرباب مؤسسات الإنتاج وهياكل الدولة الأخرى، قال – تعالى –: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

(١) محمد ناصر الدين الألباني، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، ج١، ص ٣٢.

(٢) عبد العزيز بن سريان العصيمي، كشف الحقائق الخفية عند مدعي السلفية، دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف ط ١٤٢٩ هـ، ص ١٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠.

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1].

وقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الامْرِ ﴾[2].

اتخذ مشروع الإصلاح الفكري في البلدان العربية بعدا واقعيا من خلال الحرص على تكوين "مجتمع المعرفة عن طريق إصلاح بينة التعليم والتي مع ضرورة تميّزها بالمرونة، ومواكبة احتياجات اكتساب المعرفة والتنمية، فهي مسؤولة عن توثيق الصلة بين مؤسسات التعليم وبين النشاط الإجتماعي"[3] بل بين مؤسسات التعليم والتربية وبين المجتمع المدني وبين القطاع الخاص.

الحق أن عملية التنمية الشاملة تشترك فيها جميع الهياكل الفاعلة في الدولة، ربما لا يتطلب نجاحها التكثيف في إنشائها وتشييدها، بقدر ما يتطلب إخلاصا عاما، تشكل هذه المؤسسات في مجموعها يما فيها قطاع التربية والتعليم هيكلة التخطيط الشامل للدولة، فالتربية والتعليم يعدان كذلك قطاعا منتجا للموارد البشرية، إذا سُمح لهذه المداخلة أن تعتبر الواجب الدعوي عاملا مشتركا بين مختلف القطاعات، تؤدي فيه المؤسسات التربوية والتعليمية دورا فاعلا خاصة وأنَّ وظائفها في العصر الحالي على ثلاثة وظائف:" التدريس، البحث العلمي، خدمة المجتمع"[4]، تعمل الوظيفة الأولى والثانية على تشكيل العقل، وتتكفل الوظيفة الثالثة بتسخير هذا العقل

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩.
(٣) التقرير ص ١٦٧.
(٤) ربيع عبد الرؤوف محمد عامر، مقترح لتطوير العلاقة بين البحث العلمي بالجامعات ومؤسسات الإنتاج، أعمال المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية، الظهران، ٢٠٠٨، ج٢، ص ٦٢٧.

وتصديره لهذه المؤسسات للإفادة من الخبرات، نوعية هذه الخبرات تبقى مسألة أكيدة في ظل تثمين التخصصات، لكنه مُلزم بأخلاقيات لا يجب تعديها، وهو ما سبق تسميته بالعقل المسلم، ليؤدي دورا بارزا داخل هذه المؤسسات على نحو:

- الحرص على عدم تبديد المال العام
- الحرص على احترام أفكار وآراء زملاء العمل
- الحرص على مصلحة المؤسسة العامة.
- المساهمة قدر المستطاع على التكافل بين عمال القطاع

فظاهرة التكفير لا تنفك جزءا مهما من عموم هذه الأخلاقيات، بل إن هذه المؤسسات عرضة لهذا النمط التفكيري في ظل فقه المعاملات، لذا يُجدَّدُ التأكيد على دور المؤسسات التعليمية في تصدير الفكر المعتدل والفعال والواعي بحدود التعاملات الإسلامية تيمنا بكتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة، ويبقى الاحتمال قائما في التصرفات المالية التي قد ينجرُّ خلف تنزيلها على مسائل الشرع الكثير، وهذا إن حدث فهو بحاجة إلى صياغة تجمع بين أمرين:

- الرؤية الشرعية بما يراعي التنزيل المقاصدي والأصولي.
- رعاية المصلحة العامة للدولة بما يوافق الرؤية الشرعية.

أمام مسؤولية التربية والتعليم في تصدير النخبة إلى المجتمع، تكتسي ظاهرة التكفير أهمية خاصة، إذ يفرض تنوع الفئات المتعلمة بين إمام وأستاذ في المرحلة الإعدادية أو الثانوية أو الجامعية، أو دُور الإرشاد الديني والدعوة، أو الجمعيات الإسلامية والدعوية أو الوظائف الإدارية التي تشبّع أصحابها بالمبادئ الإسلامية – تفرض كلها – اتزانا مطلوبا في الشخصية، وفي نمط التفكير بقيادة العقل الواعي، ينعكس إيجابا على جوانب الحياة الأخرى،

وهو أمر يؤكده الباحثون في مجال الأمن الفكري، في ذات الصدد يقول الطلاع "لا ريب أنَّ تحقُق الأمن الفكري لدى الفرد يؤمِّن تحققًا تلقائيا للأمن في الجوانب الأخرى كافة، ذلك لأن العقل هو مناط القيادة العليا الواعية المميزة لدى الإنسان وهو الجهة القيادية الموكلة بكل أصناف الأمن الأخر، فإذا صلحت هذه القيادة، صلح كل أفراد عائلة الأمن، وإذا فسدت فسد كل أفراد عائلة الأمن"[1].

تجذر الإشارة في هذا الصدد إلى حرص جامعات العلوم الإسلامية في الجزائر وعلى رأسها جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة على تبليغ هذه المعاني في شكل ندوات خاصة للمتخرجين، وهي بمثابة تهيئة مسبقة لما يجب أن يكونوا عليه في الحياة العملية، وأكدَّ المحاضرون على أنَّ غياب طالب العلم عن فقه الواقع يوقعه في مزالق فكرية إزاء أدائه لمهنته العملية ومسؤوليته الدعوية، فمهنة الإمامة مثلا لا يُكتفى فيها بالكفاءة وحسن الخطابة فحسب، بل أمامها أخلاقيات أخرى منها:

- أنَّ وظيفة الإمامة والخطابة المسجدية تفرض على طالب العلوم الشرعية عدم التقيد لدائرة التخصص، لأنها مؤسسة تمثل القاسم المشترك بين جميع مؤسسات المجتمع، مما يُلزمه مستوى معرفي وشامل.
- العلم بمقاصد الشريعة التي تهدف إليها رسالة الإسلام القائم على جلب مصلحة الفرد والجماعة، وتغطية مصالح الدنيا والآخرة.
- الحنكة الدينية في تنزيل نصوص الشرع وأحكامه بما يتماشى مع

(١) أمل محمد أحمد عبد الله محمد نور، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، ١٤٢٨هـ، ص ١٣.

علاقات وأعراف ومؤسسات المجتمع"[1].

هذه بعض التصورات لتسديد طريق الإمامة المسجدية والخطابة في أوساط المتخرجين من الجامعات الإسلامية.

تصورات نظرية لمحاربة ظاهرة التكفير في المؤسسات التعليمية والتربوية:

التكفير ظاهرة مرضية في الأوساط المدنية، تتحمل النخبة المتعلمة والمثقفة مسؤولية علاجها، عن طريق تصحيح التصور العام الشائع كأحد أنماط الإصلاح الفكري، فما ينخدع به العوام على وجه القناعة يحتاج إلى وقت من أجل تركه والتخلي عنه.

على المؤسسات التعليمية والتربوية أن تُبارك مبدأ التواصل بين البرامج والمناهج، مما يثمن إضافة متعلقة بالإصلاح والأمن الفكري، وزيادة مواد تُدرج في المواثيق العملية.

الإكثار من عقد الملتقيات والندوات في مختلف البلدان العربية والإسلامية لتشخيص الداء ووصف الدواء، بكل ما تعلق بالانحرافات الفكرية، وهو أحد عوامل التواصل الفكري، وبها يمكن تجميع مختلف التصورات، وتحديد علاجات تؤمن الفكر وتصلح العقيدة.

النهوض الحضاري وسيلة للوصول إلى غاية الدعوة إلى الله – تعالى – بالتي هي أحسن، والمواكبة العصرية للمؤسسات التربوية والتعليمة أمر مطلوب، وهي كفيلة بتحقيق النهوض المنشود، وكبح جماع الفكر المقيد المتسارع في إطلاق الأحكام دون مراعاة الحال، كما تعمل على: إرساء قواعد الإصلاح الفكري بما يساعد في النهوض ويخدم الإسلام.

من غايات الإسلام الكبرى تكوين العقل المسلم، ثم تشكيل الإنسان

(١) رمضان يخلف، الخطابة المسجدية بين الواجب المهني والوعي الرسالي، أعمال الندوة التكوينية لطلبة السنة الرابعة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، أفريل ٢٠٠٢، ص ٧.

الصحيح واستبعاد الإنسان الخطأ، كله في ضوء العقيدة الإسلامية، وهي عملية تؤدي فيها المؤسسات والمعاهد التربوية والتعليمية دورا بارزا في تحقيق عملية الإصلاح الفكري المنشود.

معالجة ظاهرة التكفير في المؤسسات التعليمية يكون في إطارها الأكاديمي ويشترك فيه المنهج مع المؤسسة والأستاذ والطالب على حد سواء، وبهم جميعا يمكن بناء نسق إسلامي معرفي يصوب المسلم إذا أخطأ، ويقبل الآخر بأخطائه أولا، ثم العمل على هدايته ثانيا، وهو المنهج الذي به يكثر سواد المسلمين بدلا عن الإقصاء بفاعل مسارعة الأحكام، فهي معادية للإصلاح.

الخاتمة

إذا سُمح لهذه المداخلة أن تشير إلى متطلبات العصر في تطوير التفكير مع مراعاة التصور الإسلامي لقضايا الشرع والفكر، ومع ما سبقت الإشارة إليه من حذر الفكر حال خطؤه وإلا فوجئنا بالإنسان الخطأ، فإنَّ "الإنجاز الحضاري ليس هدفا نهائيا"[1]، بل الدعوة إلى الإسلام بالتي هي أحسن هي أسمى مهمة بعد العبادة وُجدَ من أجلها البشر، ومن الواجب على جموع المسلمين تمييز الحق من الباطل، لكنه في ذات الوقت تُعدُّ خسارة كبيرة كل محاولة إصلاح نجم عنها نفور من الدين بإطلاق، وفي المجتمع الإسلامي الأول تربية خالصة للنفوس، وتعاليم وتوجيهات نبوية لأخطاء وقع فيها الصحابة – عليهم الرضوان – بسبب تقدير لم يكن في محله، "عن أسامة بن زيد[2] قال: بعثنا رسول الله – ﷺ – إلى أناس من جهينة[3] فأتيت على رجل[4] منهم فذهبت

(١) خليل عماد الدين، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٢) أسامة بن زيد ابن حارثة بن شراحيل بن عبدالعزى بن امرئ القيس، المولى الأمير الكبير حب رسول الله ﷺ، ومولاه، وابن مولاه. أبو زيد، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو حارثة، وقيل: أبو يزيد.استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار ؛ فلم يسر حتى توفي رسول الله ﷺ ؛ فبادر الصديق ببعثهم، فأغاروا على أبنى، من ناحية البلقاء.، مات بالمدينة.وقيل: مات بوادي القرى. حدث عنه أبو هريرة، وابن عباس، وأبو وائل وابناه: حسن، ومحمد. " الذهبي، سير أعلام النبلاء، المكتبة التوقيفية، مصر، ترجمة رقم ٢٠٠، ج٤، ص١٠٦.

(٣) جُهَينةُ: بلفظ التصغير وهو علم مرتجل في اسم أبي قبيلة من قُضاعة وسمي به. قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل وعندها مرج يقال له مرجُ جُهَينة، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٩٤.

(٤) هو مرداس بن نهيك الضمري وقيل بن عمرو وقيل إنه أسلمي وقيل غطفاني والأول أرجح ذكره بن عبد البر وغيره وقال أبو عمر في تفسير السدي وفي تفسير بن جريج عن عكرمة وفي تفسير سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وقال غيرهم أيضا لم يختلفوا في أن المقتول في قصة نهيك الذي ألقى السلام وقال إني مؤمن أنه رجل يسمى مرداسا، بن حجر العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٦، ص ٧٤.

أطعنه فقال: لا إله إلا الله فطعنته فقتلته فجئت إلى النبي – ﷺ – فأخبرته فقال: " أقتلته وقد شهد أن لا إله إلا الله ؟ " قلت: يا رسول الله إنما فعل ذلك تعوذا قال: " فهلا شققت عن قلبه ؟"[1] (متفق عليه)، وبموجب هذه القصة أنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[2].

بهذه الصورة أراد الإسلام أن يوجه تعاليمه للشعوب الإسلامية، وهل كان تصرف الصحابي الجليل أسامة بن زيد – رضي الله عنه – إلا لاعتقاده بقاء الرجل على أصل كفره، مما أجبره على تنفيذ أحكامه التبعية، ولو أقرّه النبي – ﷺ – على فعله لكان لعلمائنا الأجلاء في القضية قولا آخر، إذ سنة النبي – ﷺ –تشريع لأمته.

لقد تعاقبت الأمراض على الأمة الإسلامية كتعاقب الأجيال، وفي أعدائنا من لا يزيدها إلا تشفيا، وأضحت في ظلّ هشاشتها وضعف همَّتها بحاجة إلى مواثيق فكرية مستمدة من المجتمع الإسلامي الأول الذي عمل بقاعدة التصويب بدلا عن التكفير حتى فيما اختلفوا فيه، ومع كثرة الحركات[3] الإسلامية ولعلَها بطروحات فكرية ملائمة وسليمة ومتوازنة يمكنها تضييق مساحة الخلاف وتحويله من صراع إلى ففه يصل إلى حد جمع المتفرق تحت لواء واحد.

(١) محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣ — ١٤٠٥ – ١٩٨٥، ج٢، ص ٢٨٥.

(٢) سورة النساء الآية ٩٤.

(٣) المقصود بالحركات كل مجموعة سَلِمَت نيتها في خدمة العمل الإسلامي.

بات لزاما على دعوات النهوض الحضاري أن تنسلخ من الدخيل، وتعتمد على الكتاب والسنة إطلاقا، وعلى المؤسسات التعليمية والتربوية والدعوية والجمعيات الخيرية أن تُرسخ في أذهان الأجيال العقيدة الإسلامية التي أُمرنا بها، وأن تبين بوضوح وجلاء ما ينجرُّ عن الانحرافات الفكرية عموما، وعن التكفير خصوصا، ولعلَّها – هذه المؤسسات – المعول لدى المجتمع المدني في مواجهة تحديات العصر.

ويبقى التأكيد في الأخير أن عملية الإصلاح الفكري كما يخاطب بها المسلم يُعنى بها غيره، فالمسلم عن طريق تصحيح الاعتقاد والمفاهيم، وغير المسلم عن طريق الهداية والانطلاقة من السليم من الوهلة الأولى، وعليه فالمؤسسات التربوية والتعليمية تؤدي الدور المنوط بها في المجتمعات العربية والإسلامية بالنسبة للمسلمين، وكذا المجتمعات الغربية بالنسبة لغير المسمين من أجل الانطلاقة السليمة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:
- الحموي، باقوت، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٩٤.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط١، ج٥، ص ٦٥.
- العسقلاني، بن حجر الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٦.
- ابن فارِس، أبي الحسين أحمد بن زكَرِيّا: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.، ج٤
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، دار المشرق، بيروت، لبنان،ط٢.
- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٥ – ١٩٨٥، ج٢.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، ج١٣
- ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ج٣٥.
- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، المكتبة التوقيفية، مصر، ج٤.
- الألباني محمد ناصر الدين، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، ج١.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، ج١.
- حسنة عمر عبيد، مراجعات في الفكر والحركة والدعوة.
- يخلف رمضان، الخطابة المسجدية بين الواجب المهني والوعي الرسالي، أعمال الندوة التكوينية لطلبة السنة الرابعة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، أفريل ٢٠٠٢.

- محمد عامر، ربيع عبد الرؤوف، مقترح لتطوير العلاقة بين البحث العلمي بالجامعات ومؤسسات الإنتاج، أعمال المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية، الظهران، ٢٠٠٨، ج٢.
- محمد نور، أمل محمد أحمد عبد الل، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، ١٤٢٨هـ.
- بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، بيروت.
- سلطان، جمال، جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي الحديث، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤١٢، ١٩٩١
- العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٤٩٤م.
- العفاني، سيد بن حسين، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عيري، السعودية، ج١.
- العصيمي، عبد العزيز بن سريان، كشف الحقائق الخفية عند مدعي السلفية، دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف ط ١٤٢٩ هـ.
- قريب الله حسن الفاتح، الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، ، مطبعة الأمانة، القاهرة، ٢٠٠١.
- شاولس، روبرت، التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، ترجمة حسن سعيد الكرمي، عالم المعرفة، ١٩٧٩.
- التويجري، علي بن غازي، الإيضاح لما ورد في السنة والكتاب من مسائل الإصلاح.
- خليل، عماد الدين، حول تشكيل العقل المسلم، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية، الكويت، ط٤ ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- الخمشي، سارة صالح عيادة دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب، المؤتمر العالمي لموقف الإسلام من الإرهاب، كلية الخدمة

الاجتماعية، السعودية، ٢٠٠٠.

- غباري محمد سلامة محمد، الخدمة الاجتماعية المدرسية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٨٩م.

الوثائق والتقارير الرسمية:

- الوثيقة الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، La refonte de l'enseignement supérieur المطبعة الرسمية شارع بارك، الجزائر، ١٩٧١.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠٠٣.
- وزارة التربية الوطنية الجزائرية، اللجنة الوطنية للمناهج، منهاج العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي، جميع الشعب.
- وزارة التربية والتعليم، ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- وزارة التعليم العالي الجزائرية، ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية، أفريل ٢٠١٠.

الرسائل الجامعية:

- أبو نمر، عاطف سالم، مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامي ومدى تمثلها لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية من وجهة نظر طلبتهم، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية بالجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٧- ٢٠٠٨.

المواقع الإلكترونية:

- موقع وزارة التربية الوطنية الجزائرية www.meducation.edu.dz